قوّة الإسلام في تكامل حكمة الشّيوخ بطاقة الشّباب

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 11 ربيع الثاني 1434هـ الموافق لـ 22 فيفري 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ 01 ﴾ " سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿ 102 ﴾ "سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ 71 ﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع:

قوّة الإسلام في تكامل حكمة الشّيوخ بطاقة الشّباب

معاشر الإخوة الكرام،

إنّ هذا الدّين بمثل ما يحتاج إلى حكمة الشّيوخ ورجاحة عقولهم وثمار تجربتهم، فإنّ هذا الدّين في أمسّ الحاجة إلى طاقة الشّباب وحماستهم في الدّين، وقدرتهم على البذل والعطاء وتنفيذ ما تقرّره حكمة الشّيوخ، فالشّاب يكمّل الشّيخ والشّيخ يكمّل الشّاب. فهي علاقة تكامليّة وليست علاقة تنافريّة، رغم أنّ الحِلْمَ والعقل قد يوجد في الشّباب أيضا.

قال الشّاعر:

فَمَا الحَدَاثَــةُ عَنِ حِلْمٍ بِمَـــانِعَةٍ قَدْ يُوجَدُ الحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ والشِّيَبِ

قال تعالى في معرض مدح صفات أنبيائه:

" **وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿ 45 ﴾** " **سورة ص.**

قال الطّاهر بن عاشور: (**أوتوا قوّةً في إقامة الدّين والبصيرة في حقائق الأمور**)، وقال ابن كثير: (**قوّةٌ في العبادة والبصيرة النّافذة**).

هناك من الكهول والشّيوخ من يصاب بالضّجر إذا وجد المسجد يضجّ بالشّباب وحركتهم ونشاطهم وحرصهم على الصّفوف الأولى.

وكان ينبغي لهذا أن يفرح فرحًا شديدًا حينما يرى شبابًا في رَيْعَانِ شبابهم يرتادون المسجد ويحرصون على الصّفوف الأولى، ويتحلّقون بعد الصّلوات للتّذاكر والتّناصح والتّعارف وتبادل الآراء.

ذلك لأنّ وجود الخلف الصّالح برهانٌ ودليلٌ على السّلف الصّالح، والخلف الفاسد دليلٌ وبرهانٌ على تقصيرٍ من سلفهم وتقصيرهم، قال تعالى:

" **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿ 12 ﴾** " **سورة يس.**

المقصود بآثارهم أي آثار أعمالهم، وهو ما تركوه من خيرٍ أو شرٍّ، ومن ترك ولدًا صالحًا نافعًا للمجتمع فقد ترك خيرًا لا محالة.

وهذا مصداقًا لحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، الثّابت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة، قال:

{قال عليه الصّلاة والسّلام: (إذا مات الإنسان إنقطع عمله إلاّ من ثلاثةٍ، إلاّ من صدقةٍ جاريةٍ أو علمٍ يُنتفع به أو ولدٍ صالحٍ يدعو له) }.

معاشر المسلمين،

إعلموا أنّ الشّباب هم قوّة الإسلام، وهم سنده وهم حماته، والإسلام في أمسّ الحاجة إلى قوّتهم، إلى طاقتهم، إلى شجاعتهم، إلى جهودهم في طلب العلم والحرص عليه ونشره.

فأهل الكهف الّذين صدعوا بالحقّ و لم يخشوا في الله لومة لائمٍ كانوا شبابًا، قال تعالى وهو يقصّ علينا حالهم، وكيف واجهوا مجتمعًا كلّه بضلاله وشِركه وانحرافه، واجهوه وحدهم بالحقّ وصدعوا بذلك، و لم يخشوا في الله لومة لائمٍ:

" نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿ 13 ﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿ 14 ﴾ " سورة الكهف.

الشّيخ بحكمته يخطّط والشّاب ينفذ ويطيع، وهذه العلاقة التّكامليّة وضع لها الإسلام آدابًا وأخلاقًا حتّى لا يفسد الودّ فيها، وحتّى لا يحعل التّنافر والتّدافع بينهما.

وانظروا معي رحمكم الله تعالى، كيف كان الحوار بين نبيّ الله تعالى إبراهيم عليه السّلام وأبيه الكبير، الّذي اختار الكفر ونحت الأصنام، قال تعالى:

" وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿ 41 ﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿ 42 ﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿ 43 ﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿ 44 ﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿ 45 ﴾ " سورة مريم.

يقول الزّمخشري في تفسيره: (**حين أراد أن ينصح أباه، رتّب الكلام معه في أحسن اتقانٍ، وساقه أرفق مساقٍ، مع استعماله المجاملة واللّطف والرّفق واللّين والأدب الجميل والخلق الحسن**).

فهذا التّعامل مع الكبير الكافر فما بالك مع الكبير المسلم.

فالتّعامل مع الكبير يكون بالإحترام والتّقدير والمراعاة والإكرام، بل إنّ ذلك عين تعظيم الله تعالى.

فقد ثبت في صحيح الجامع من حديث أبي موسى الأشعري للألباني بسندٍ حسنٍ، قال عليه الصّلاة والسّلام:

(**إنّ من إجلال الله، إكرام ذي الشَّيْبَةِ المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السّلطان المقسط**).

فأنا لا أزاحم شيخًا على الصّف الأوّل إيثارًا وتقديرًا له، بل أترك له مكاني عملاً بالحديث.

ومن إكرام الشّيخ الكبير ألاّ أحمّله ما لا يطيق، ثبت في صحيح البخاري، **عن عقبة بن عمرو بن ثعلبة، قال رجل: (يا رسول الله إنّي لأتأخّر عن الصّلاة في الفجر ممّا يطيل بنا فلان فيها)، فغضب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ما رأيته غضب في موضعٍ كان أشدّ غضبًا منه يومئذ، ثمّ قال : (يا أيّها النّاس إنّ منكم منفّرين، فمن أمّ النّاس فليتجوّز، فإنّ خلفه الضّعيف والكبير وذا الحاجة**).

– انظروا إلى أدب عبد الله بن عمر، أمام كبار الصّحابة رضوان الله عليهم:

ثبت في مسند الإمام أحمد، قال أحمد شاكر إسناده صحيحٌ، **قال عليه الصّلاة والسّلام:**

(**إنّ من الشّجر شجرةٌ لا يسقط ورقها، إنّها مثل الرّجل المسلم)، قال: (فوقع النّاس في شجر البوادي، وكنت أَحْدَثَ النّاس، ووقع في صدري أنّها النّخلة)، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (هي النّخلة)، قال: (فذكرت ذلك لأبي فقال: (لإن تكون قلته أحبّ إليّ من كذا وكذا)).**

هذا هو الأدب، هذا هو الخلق، فهو لا يريد أن يظهر بمظهر العالم أمام كبار الصّحابة.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله،

لّما فرغ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من حجّة الوداع، وبلغه أنّ الرّوم راحت تمنع كلّ من أراد أن يدين بالإسلام، وقتلها كلّ من يريد الدّخول في الإسلام، كما فعلت بـــ " **فَرْوَةَ بن عمرو الجذامي** " الّذي كان واليًا على معان من قِبَلِ الرّوم.

راح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يجهّز جيشًا عظيمًا للحدّ من غطرسة وكبرياء دولة الرّوم.

ففي السّنة 11هـــ، جهّز جيشًا وأمّر عليه شابًّا إسمه أسامة بن زيد بن حارثة، وذلك لإعادة الثّقة إلى العرب المقيمين على حدود دولة الرّوم. فانظروا كيف اختارت حكمة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم شابًّا قويًّا متحمّسًا لتأديب الرّوم، ولّما حاول المنافقون الكلام في ذلك، أي كيف للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن يبعث جيشًا فيه عمر وأبي بكر وكبار الصّحابة رضي الله عنهم، ويلتفت إلى شابٍّ عمره 18 سنةً، قال حينئذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، كما ثبت في صحيح البخاري:

(إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقًا للإمارة، وإن كان لمن أحبّ النّاس إليّ، وإنّ هذا لمن أحبّ النّاس إليّ بعده، فانفذوا بعث أسامة).

وانظروا إلى أبي بكر الصّديق الّذي لم يُبَالِ بمن أشار عليه، بعد وفاة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، بتغيير قيادة الجيش أو تجميده، فقال: **(لو ظننت أنّ السّباع تخطفني، لأنفذتُ بَعْثَ أسامةٍ، كما أمر به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولو لم يَبْقَ في القرى غيري لأنفذته).**

وخرج الصّديق يودّع جيش أسامة ماشيًا وأسامة راكبًا، ولّما أراد أسامة أن ينزل ليركب أبو بكر الصّديق رضي الله عنه احترامًا وتقديرًا للخليفة، اعترضه أبو بكر قائلاً : **(والله لا نزلتَ ولا ركبتُ، وما عليّ أن أغبرّ قدمي في سبيل الله ساعةً).**

نريد شيخًا يشجّع الشّباب على التزامهم، ويسند تحرّكهم ويثمّن عطاءهم، ونريد شابًّا يجلّ ويحترم الكبير ويستشيره، فما خاب من استشار أهل الحكمة والتّجربة والعلم.

البطولة أن نتقاسم الأدوار، لا أن يقصي طرفٌ طرفًا آخر، فنُحْدِث الفرقة ونفشل وتذهب ريحنا.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك،

اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك،
اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة،
اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا،
اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،
سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.